د. نبيل التونجي

سلسلة حكايات بشهرزاد

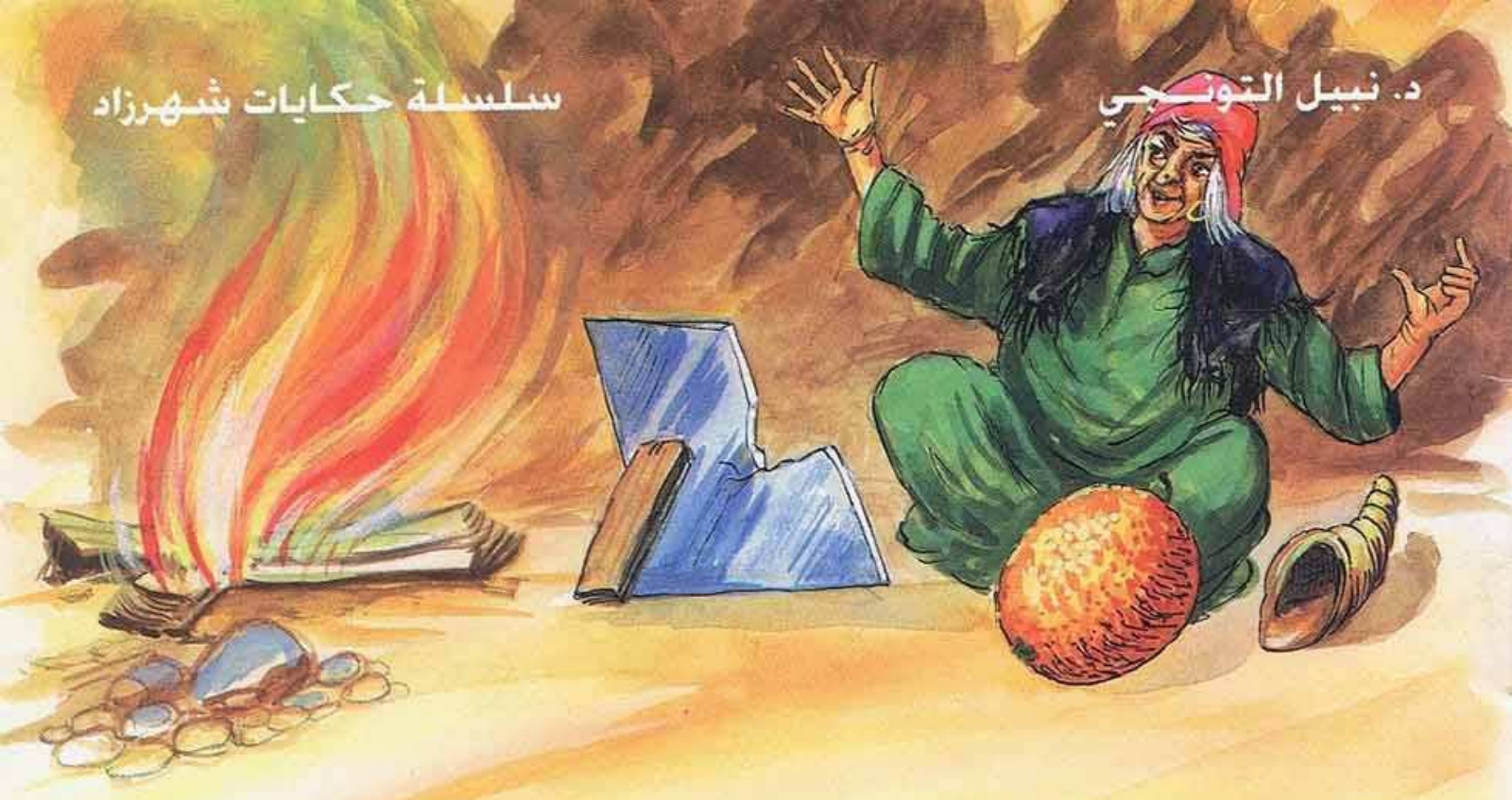

الضفيرة المسحورة

دار المكتبة الأهلية

حكايات شهرزاد

الضَّفيرة المسحورة

تأليف :
د. نبيل التونجي

الناشر :
دار المكتبة الأهلية

الطباعة :
المطابع الأهلية الحديثة
تلفون : ٠٩/٩٠٣٩٠١

الاخراج الفني :
سلام اسود

الرسوم اليدوية :
سمير غنطوس

توزيع :
دار المكتبة الأهلية
تلفون : الذوق : ٠٩/٢١٤١٤٤
٠٩/٢١٤١٤٥
فاكس : ٠٩/٢١٣٤٩٩
الدكوانة : ٠١/٤٩٥٠٦٥
خليوي : ٠٣/٢١٧٨٩٧

دار المكتبة الأهلية

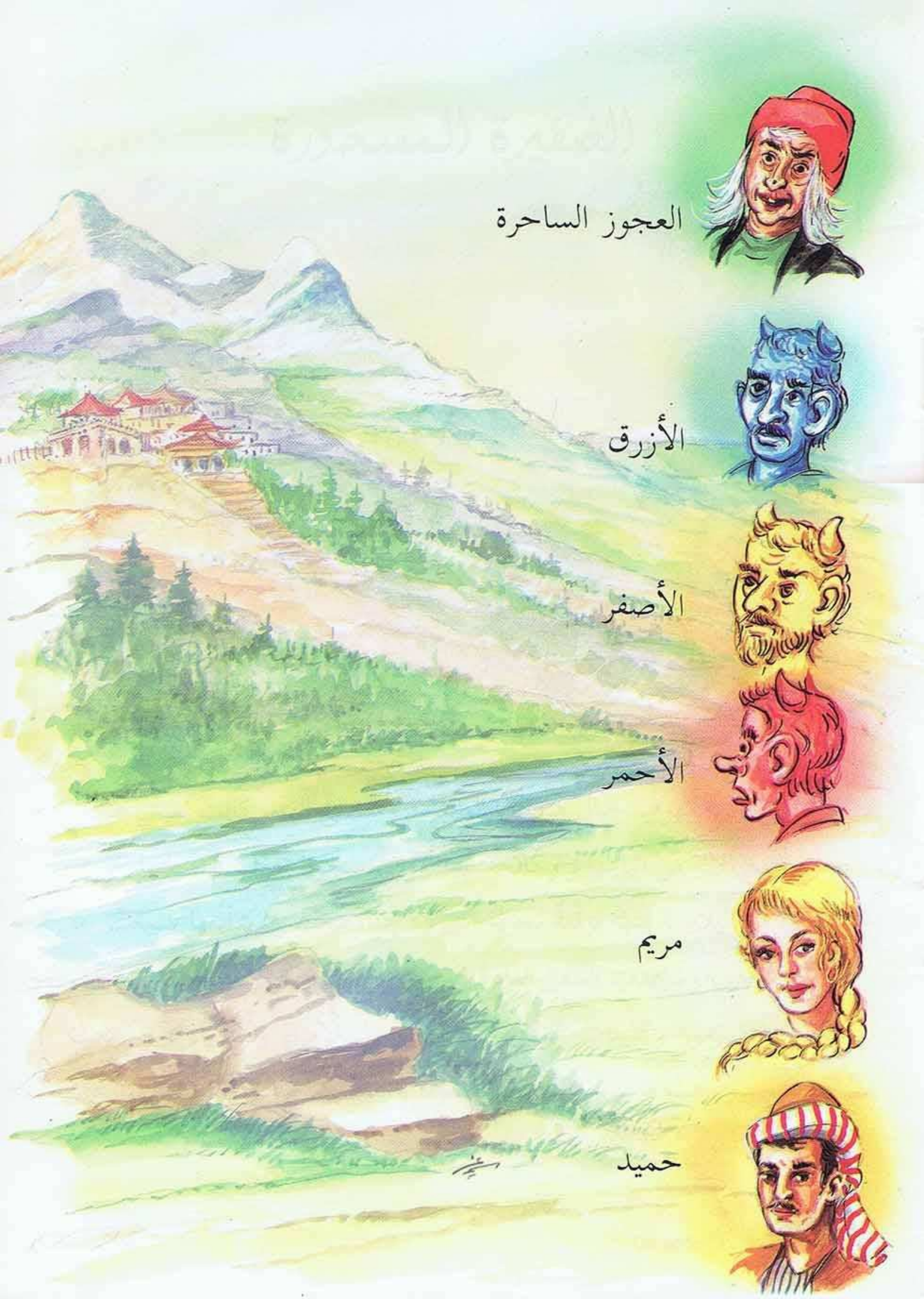
العجوز الساحرة
الأزرق
الأصفر
الأحمر
مريم
حميد

الضَّفيرة المسحورة

في أحدِ كُهوفِ جِبالِ هيمالايا الواقعَةِ في شَماليِّ الهندِ كانتْ تعيشُ عجوزٌ ساحرةٌ معَ ثَلاثةٍ من أَتباعِها . وكانَ عندها أَدواتٌ سِحريَّةٌ تَعرِفُ بواسِطتِها كلَّ ما يَجري في البلادِ . بَيْنَها قَوقَعةٌ بَحريَّةٌ كبيرةٌ ، إذا وضَعَتْها على أُذُنِها سَمِعتْ بِها هديرَ البحارِ ، وشاهدتِ السفنَ العابرةَ فيهِ ، ومرآةٌ مكسورةٌ إذا مسحَتْها ، وقرأتْ عليها بضعَ رُموزٍ وكلماتٍ غَريبةٍ رأتْ فيها منازلَ الأُمراءِ والأغنياءِ ، وسَمِعتْ حديثَهُم ، وعَرفتْ ما يَشغَلُ بالَهم ، وليمونةٌ حمراءُ كبيرةُ الحجمِ تَشمُّ بها غُبارَ أقدامِ مَن يَدْنو منَ الأرضِ المحيطةِ بالكهفِ .

وقدِ اسْتطاعتْ بهذِهِ الأَدواتِ السحريَّةِ أنْ تُسيطرَ على كثيرٍ منَ البلادِ ، وتكشِفَ أَسرارَها ، وتَتفوَّقَ عَلى أَقرانها السَّحَرةِ ، وتكتَشِفَ كلَّ ما يَجري في البرارِي والبِحارِ والجبالِ .

كانتْ خِلقةُ أَتباعِها الثَّلاثةِ غريبةً جدًّا . فالأوَّلُ تَدعوهُ «الأَحمرَ» ، لأنَّ شَعرَهُ أحمرُ ، وكذلكَ عَيناهُ وقَرناهُ وشَعرُ حاجِبَيْهِ . والثاني تَدعوهُ «الأَزرقَ» لأنَّ لونَهُ أَزرقُ تَمامًا . ومِثلُهما الثالثُ وتَدعوه «الأَصفرَ» لأنَّ جسمَهُ على اصفرارٍ .

كانتِ العجوزُ إذا احْتاجَتْ إلى شيءٍ مِن قُصورِ الأُمراءِ نَظرتْ في مِرآتِها ، وحدَّدتْ مكانَ القصرَ ، فترسلُ واحِدًا مِنْ أَتباعها ، لِيَجلبَ لها ما تُريدُ بلمْحِ البصَرِ . وإذا اشْتاقَتْ إلى سمكةٍ كبيرةٍ ، أَو إلى بعضِ ما تَحملُه السفنُ تُرسلُ تابعًا آخَرَ . وحينَ تشُمُّ اللَّيمونةَ وتُحِسُّ بخطرٍ يَدْنو مِن كهفِها تُعَجِّلُ بالتَّابعِ الأَصفرِ ، لأنَّه أَقوى الثَّلاثة وأَسرعُهم .

في أحدِ الأيامِ ، حينَ عادَ أَتباعُها الثَّلاثَةُ ، بعدَ غيابٍ طَويلٍ ، وقَد نفَّذُوا ما أَمَرتْهم بِتَنْفيذِهِ ، رأَوْها حزينةً لا تَتكلَّمُ . فظنُّوا أنَّها غاضبةٌ منْهُم . فَوَضعوا أمامَها ما طَلبتْهُ ، لعلَّ السُّرورَ يَدخُلُ قَلبَها . فَنظرتِ العجوزُ بطَرفِ عَيْنَيْها إلى ما وَضعوهُ أمامَها ، ثمَّ أَشاحتْ بِوجهِها ، وعادَتْ إلى حُزْنها وأَساها .

عنْدئذٍ سألَها التابعُ الأَزرقُ :

ـ لقدْ تَركناكِ يا سيِّدةَ السَّحَرةِ سَعيدةً مُغْتبطةً ، وعُدْنا فَرأيناكِ حَزينةً . وأنتِ

تعلمينَ أنَّ ما يُؤلمُك يُؤلمُنا . فَاحْكي لنا سببَ انزعاجِكِ . فلعَلَّنا نَستطيعُ كشْفَ الغُمَّةِ عنْكِ . فنحنُ عَبيدُكِ وطَوعُ أَمرِكِ .

لم تُجِبْ ، وكأنَّها لم تَسْمعْ ما قِيلَ . فأَكملَ التابعُ الأَصفرُ بالكلامَ :

ـ أنتِ تَعلمينَ قُوَّتَنا وسُرعتَنا . فمُرينا بكلِّ ما تُريدين !

كانتِ العَجوزُ الساحرةُ تَعلمُ أنَّ قُدرةَ أَتباعِها كَبيرةٌ ، ولكنَّ قُدرتَهم هذهِ تَأتي مِن سحرِها . وهيَ إذا أدركتْ صُعوبَةَ وَضْعِها ، فمنَ البَدِيهيِّ أنْ تَعْرِفَ تأثيرَ ذلك عَليهم . ولكنَّها وافَقتْ أَخيرًا عَلى إخبارِهم بقصَّةِ حُزْنها وما يُعكِّرُ صَفْوَها ، للبوحِ بآلامِها فقط ، لا للبحثِ عَن وسيلةٍ لعلاجِها ، وَلِتحكيَ لهُم لأنَّهم مُصِرُّون عَلى معرفةِ السَّببِ .

فقالتْ :

ـ اعْلموا أنَّ نِهايَةَ حَياتي قد قربت .

فقالَ التابعُ الأحمرُ ثائِرًا :

ـ ومَن قالَ لكِ هذا ؟ مَن هَدَّدكِ ؟ اسْمحي لي بأنْ أَذهبَ إليهِ وأَقتلَهُ .

فهزَّتْ برأسِها قَليلًا ، ثم أَشارَتْ إليهِ بأنْ يَسكُتَ ، وتابعتْ حَديثَها :

ـ قبلَ أيامٍ اسْتَدعاني شيخُ السَّحرةِ العارِفُ بِمُستقبَلِنا . فذَهبتُ إليه ، لأَرى ما يُريدُ منِّي . وبعدَ أنِ استرحْتُ عندَهُ قَليلًا ، وسَقَاني كأسًا مُبرَّدةً مِن دُموعِ

البشَرِ، قالَ لي إنَّ حَياتي قارَبتْ عَلى النِّهايةِ . ويمكِنُني أنْ أُؤَجِّلَ مَوتي إذا اسْتَطعتُ أنْ أحرِقَ كلَّ صَباحٍ ضَفيرةً مِن ضَفائرِ صَبايا البَشرِ .

فَقالَ الأَصفرُ :

ـ هذا أمرٌ يسيرٌ عَلينا . نَستطيعُ أَنْ نقُصَّ لكِ ضَفائرَ البَناتِ بأيامٍ قَلائلَ ، وتُحرِقينَ منها كلَّ صَباحٍ ضَفيرةً واحدةً .

فقالتْ لهُ العجوزُ :

ـ نَعم ، هذا ما فكَّرتُ بهِ حينَ أَخبرني شَيخُ السَّحَرةِ بالنَّبأ المشْؤومِ . لكنَّهُ قالَ أَيضًا ، وكأنَّه قَرأَ أفكاري : عَلى أنَّ واحدًا منَ الشُّبَّانِ سَيثأرُ لشَعرِ خَطيبتِه ، فيُصمِّمُ عَلى الثَّأرِ لها ، لأنَّه يُحِبُّ ضَفائِرَها . ولمَّا سألتُ شَيخَ السَّحرةِ عنْهُ ، أَجابَ بأنَّهُ لا يَعرفُ مَن هُوَ ، لأنَّ الشبابَ الخاطِبينَ كثيرونَ ، وكُلُّهم يحبُّونَ ضَفائِرَ خَطيباتِهم .

فقالَ لها الأَصفرُ غاضِبًا :

ـ سأَحرسُ لكِ الجبلَ كلَّهُ ، وأَسْحقُ كلَّ مَن يَدْنُو منهُ . فَلا تَحْزَني .

فقالتِ العجوزُ :

ـ نعَم ، وسَأُساعدُكَ في مِرآتي ولَيْمونتي . إلَّا إذا كانَ الفَتى قَويًا جدًا وذا حِيَلٍ أو أنَّه يَتحلَّى بصفاتٍ لا يُؤثِّرُ بها سِحري ، فَلا تَراهُ مِرآتي .

فَطمْأَنَها التابعُ الأحمرُ :

ـ الأمرُ أَسهلُ ممّا نَظُنُّ يا سيِّدَتَنا السَّاحرةَ . أَرى أَنْ تَطْمئنِّي ، وتَأكُلي ممَّا أَحضرناهُ لكِ . فقدْ جَلبْتُ لكِ إوَزَّةَ ملكِ السِّنْدِ ، وكانَ طبَّاخُهُ قَد أَعدَّها لمناسبةٍ سَعيدةٍ .

وقالَ التابعُ الأَزرقُ :

ـ أُنْظُري إلى هذهِ السَّمكةِ النَّادرةِ . لقد شَوَيْتُها لكِ بأَشِعَّة الشَّمسِ ، ومازالَتْ تَتَحرَّكُ .

وقالَ التابعُ الأَصفرُ :

ـ أَمَّا أنا فقد جلبْتُ لكِ فواكهَ عَجيبةً مِن غاباتِ الصِّينِ .

وبعدَ أنْ أَكلوا وشَبِعوا قالَ الأصفرُ :

ـ أَرى يا أَصْدِقائي أنْ نُباشِرَ عَملَنا منذُ الآنَ . فاذْهَبْ يا أَخي الأَزرقَ إلى جنوبِ الهندِ ، وأنتَ يا أَخي الأحمرَ تَبقَى لِحِراسَةِ سيِّدتِنا وتَسْلِيَتِها . أمَّا أنا فسأَذهبُ إلى أَبناءِ العرقِ الأَصفرِ لأنَّ ضَفائرَ نسائِهم كثيرةٌ .

فقالَ لهُ الأحمرُ :

ـ لا بأسَ ، ولكنْ انْتظِرا أمرَ عجوزِنا وبَرَكَتَها .

فقالَتْ لهُم العَجوزُ :

ـ ما زالَ في الوقتِ مُتَّسعٌ . نامُوا اليومَ واسْتَريحوا مِن عَناءِ رِحلتِكُم ، واذْهَبوا غَدًا صَباحًا ، وَاعْملوا برأيِ التابعِ الأصفر ، فقدْ أَحسنَ تَوْزيعَ المَهَمّاتِ .

نامَ الأتباعُ الثَّلاثَةُ ، بَيْنَما ظلَّتِ الساحرةُ يَقِظةً ، تُفكِّرُ بمصيرِها . وفي الصَّباحِ الباكِرِ ، وقبلَ أَنْ تُشرِقَ الشَّمسُ انْطلقَ التابعُ الأصفَرُ شَرقًا ، والتابعُ الأَزرقُ جُنوبًا .

أما التّابع الأحمرُ فظلَّ في الكهْفِ يُساعدُ العَجوزَ ، ويُحادِثُها بأَطْرفِ ما رآهُ في رِحلاتِهِ .

وبعدَ أيامٍ عادَ التابعُ الأَصفرُ ، ثمَّ تبعَهُ الأزرقُ ، وهُما يَحملانِ مَجموعةً منَ الضَّفائرِ .

وجَلَسا يحْكِيانِ لِلعجوزِ عَن سُرورِهما في مَهَمَّتِهما الجديدةِ ، وكيفَ أنَّهما كانا يَقُصَّانِ ضَفائرَ الصَّبايا . وَاقترحَ التابعُ الأَحمرُ أنْ يَحتفِلوا في هذا الصَّباحِ بحرقِ أَطولِ ضَفيرةٍ حَملاها ، ويَشربوا كؤوسًا منَ الرّمان الأحمرِ المخمَّرِ ، احْتفالًا بذلكَ الحَدثِ السَّعيدِ .

عمَّ ذُعرٌ كبيرٌ بينَ الناسِ مِن جَرَّاءِ قَصِّ ضَفائِرِ بَناتِهِم . فقدِ اسْتَيقظتْ بعضُ الصَّبايا فلمْ يجِدْنَ ضَفائرَهُنَّ . وتَفقَّدَتْ أُخْرَياتٌ ضَفائرهُنَّ ، وهُنَّ يَلْعَبْنَ فلم يَجِدْنَها . وأَخَذْنَ بالبُكاءِ والعَويلِ ، وشَكَوْنَ أَمْرهُنَّ إلى أُمَّهاتِهِنَّ ، فحَكَيْنَ النَّبأَ إلى أَزْواجِهنَّ ، والأزواجُ بِدَوْرِهم تَحدَّثوا في الأَسواقِ عَن هذا الخبرِ ، حتَّى وصَلَ إلى والي المدينَةِ الّذي أَدركَ عندئذٍ أَنَّ ابْنَتَهُ لم تَقُصَّ شَعْرَها عَمْدًا ، كما حَسِبَ، بَل مُنِيَتْ بِما مُنِيَتْ بهِ بَناتُ البَلدَةِ جَميعًا .

لكنَّ الوَالي لم يَعرِفِ الفاعِلينَ ، وظَنَّهُم سارِقينَ غُرَباءَ ، قَدِموا لِقَصِّ الضَّفائِرِ وبَيْعِها في بلادٍ أُخْرى . فشدَّدَ الحراسَةَ عَلى أَبوابِ المدِيَنةِ ، وكاتَبَ الوُلاةَ الآخَرينَ سِرًّا يَحْكي لهُم ما جَرَى ، كي يَأْمُروا شُرْطَتَهُم بِتَفتيشِ الأَسواقِ ، حتَّى إذا وَجَدوا أَحدًا يَبِيعُ ضَفائِرَ منَ الشَّعرِ قَبَضوا عليهِ وحاكَموهُ .

وفُوجِىءَ الوالي بعَودةِ الرُّسُلِ ، يُعلمونَهُ بالحَدَثِ نَفْسِهِ في أَغْلبِ البُلدانِ ، وَبأَنَّ الكآبَةَ حَلَّتْ في أكثرِ المنازِلِ . وكانَتِ العَجوزُ وأَتباعُها ، في ذلكَ الوَقتِ ، يَنظرُونَ في المرآةِ المكسورَةِ ، ويَرَونَ انْزِعاجَ الوُلاةِ والأَغنياءِ في قُصورِهم ، وهُم فَرِحونَ سُعَداءُ في الكهفِ .

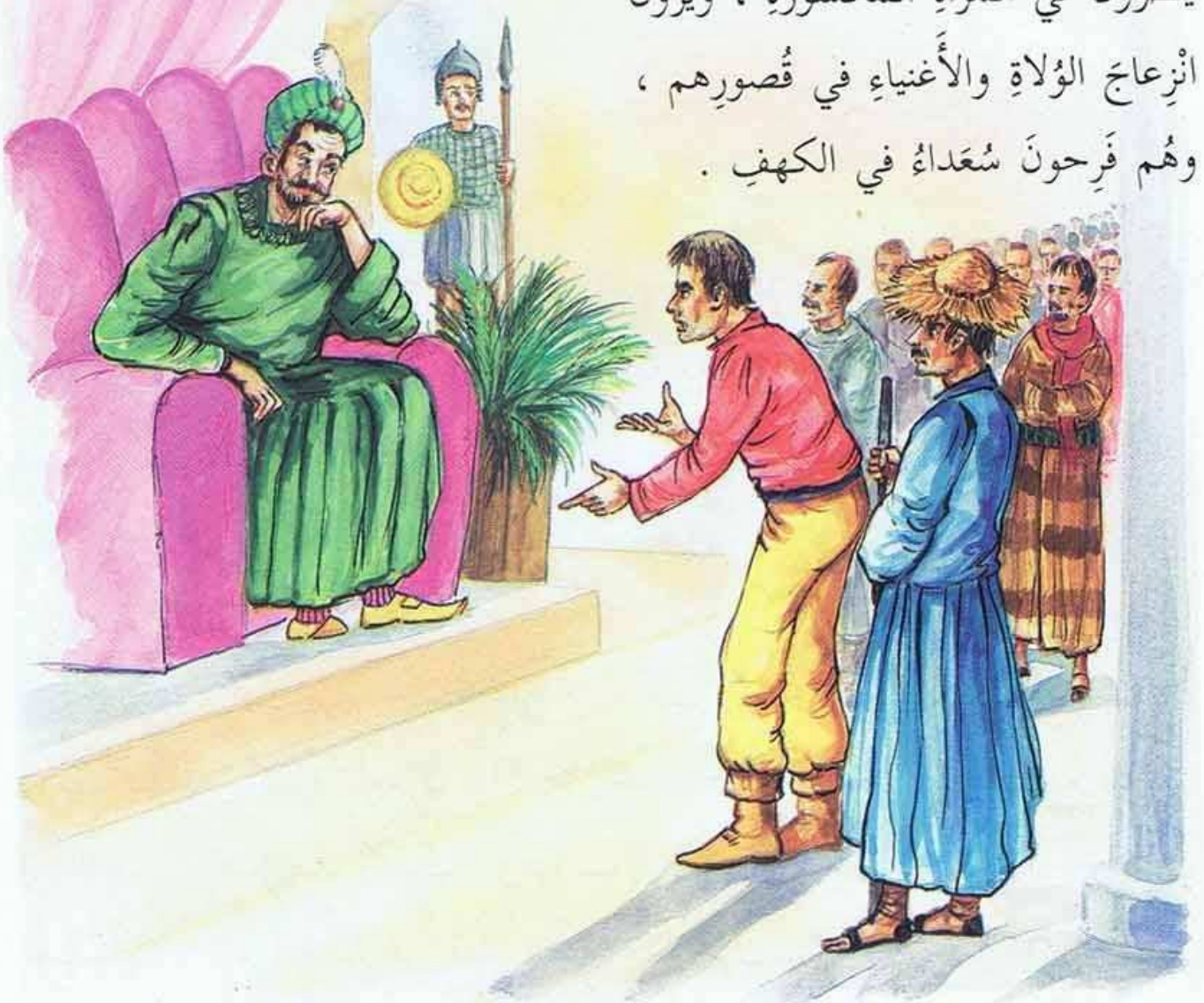

ومَضتْ أَيامٌ عَديدَةٌ قارَبتِ الضَّفائِرُ فيها عَلى النَّفادِ . فأَمَرتِ العَجوزُ الساحرةُ أَتباعَها بأنْ يَستعدُّوا للرَّحيلِ ، ثَلاثَتُهم هذهِ المرَّةَ ، فَتفحَّصتْ بعضَ القُصورِ ، وشَرحتْ لهُم المواقِعَ التي يجبُ أنْ يَتوجَّهوا إليها . وبعدَ أنْ شَمَّتِ اللَّيمونَةَ ، وَاطْمأنَّتْ إلى خُلُوِّ المِنْطقةِ مِنَ الغُرباءِ ، سَمحتْ لهُم بالذَّهابِ .

وتكَرَّرتْ مَصائِبُ الصَّبايا في البلادِ نَفسِها ، وفي البُلدانِ الأُخْرى التي دَخَلها الأتباع . وعادُوا ظافِرينَ بِحِملٍ كبيرٍ منَ الضَّفائرِ . واسْتَمرَّ الحالُ عَلى ذلكَ عدَّةَ سِنينَ ، مِن غَيرِ أَن يُكتشَفَ سِرُّ قصِّ الضّفائر .

ومِن بَينِ الصَّبايا اللواتي فَقدْنَ ضَفائرَهُنَّ ، فَتاةٌ في العشرينَ مِنَ العُمر . كانَتْ وحيدةَ أَبويها ، وكانَ أبوها صيَّادًا فقيرًا يعيشُ عَلى ضِفَّةِ أَحدِ الأَنهارِ . وكانُوا إذا رَزَقَهم الله بصيدٍ أَكلوا ، وإذا لم يَجُدِ النَّهرُ بخيرِه عَليهِم نامُوا جائعينَ. كانتْ مريم مُدلَّلةً لدى أَبَويْها كثيرًا لجمالِها وخُلُقِها وحُبِّها لهما . وكانتْ أُمُّها تُمشِّطُ لها شَعرَها كلَّ صَباحٍ ، وتَضْفرُهُ ضَفيرتَينِ كَبيرتينِ تتدلَّيانِ عَلى طُولِ ظهرِها ... فهيَ لم تَقُصَّ شَعرَها طُولَ عُمرِها .

وبَيْنما كانَتْ مريم جالسَةً عَلى ضِفَّةِ النَّهرِ إلى جانِبِ أَبيها ، وتَدْعُو الله أَنْ يَرزُقَهم بسمكةٍ كبيرةٍ يَشْبعونَ بِها ، إذا بإحْدى ضَفائِرِها تُقَصُّ ، وتَطِيرُ معَ سارِقِها في الفَضاءِ . فَصرخَتْ وبكَتْ ، وهَرْوَلَتْ إلى أَبيها . كانَ التابعُ الأَزرقُ هو الَّذي قصَّها لَها . ولم يتمكَّنْ مِن قَصِّ الضَّفيرةِ الأُخْرى .

عادَ الأبُ حَزِينًا إلى المنزلِ ، وَهُوَ يَلُفُّ ابْنتَهُ بينَ ذِراعَيْهِ ، لِيَحْميَها منَ السارِقِ الذي سَرقَ ضَفيرتَها . وشاعَ نبأُ سَرِقةِ ضَفيرةِ مريم بينَ أهلِ القريةِ ، فَقدِمُوا إلى كوخِ الصيادِ زُرافاتٍ ووِحْدانًا ، يُعزُّونَها ، ويَسْتفسِرونَ .

سمعَ حَميدٌ بِالنبأ المُفجِعِ ، وكانَ يَعملُ في فَتْلِ الحبالِ عَلى سَفحِ أحدِ الجبالِ . ولم يُصدِّقْ مَسألةَ السَّرِقَةِ في بادِئِ الأمرِ ، وظَنَّها خِدْعَةً مِن أَبَويْها حتَّى لا يُزَوِّجاها إليه لِفقرِهِ . لأنَّهُما يَعلمانِ أنَّه يُحِبُّ ضَفِيرَتي مريم ، ويَرجُوها أَلَّا تَقصَّهُما .

لكنَّهُ حينَ عَلمَ بِفقدانِ عددٍ مِن ضفائرِ صَبايا القَريةِ ، وبأنَّ مريم فَقدتْ

واحدةً ، بَينَما ظلَّت الأُخرى معلَّقةً في مكانِها ، قرَّرَ أنْ يذْهَبَ لزيارَتها ، ويَستَعْلمَ منها حقيقةَ الأَمرِ .

وما كانَ أشدَّ ألَمَهُ حينَ رأَى خَطيبَتَهُ تَبكي بصدقٍ ، وشاهَدَ علاماتِ الأَسَى بادِيَةً عَلى وَجْهَيْ والِدَيْها . فَصمَّم عَلى الثأرِ ، ولكنْ مِمَّنْ ؟ إنَّ أَباها لم يَسْتطعْ أنْ يَرى السارِقَ ، وإنَّ مريم شُغلتْ بالبُكاءِ وبإمساكِ الضَّفيرةِ الثانيةِ فلمْ تَرَ شَيئًا .. كيفَ تخرُجُ الآنَ مِن بَيتِها وهيَ بِضَفيرةٍ واحِدَةٍ ؟

كانَ حميدٌ يعرفُ شَيخًا زاهِدًا يعيشُ في الغابةِ ، وكانَ يَزورُه بينَ الحينِ والحينِ . فقرَّرَ أن يَسْتَشيرَهُ في أمرِهِ . وحينَ قَصدَهُ حَميدٌ ، وحَكى لهُ قصَّةَ الضَّفائرِ ، قالَ لهُ الشَّيخُ الزاهدُ :

- لم يكُنِ السَّارِقُ منَ الإنسِ يا حَميدُ .

عَجِبَ حميدٌ من كَلامِ الزَّاهدِ ، فسَأَلَهُ :

- إذا كانَ السارقُ ليسَ منَ البشرِ ، فمَنْ هوَ ؟

أجابَه الزاهدُ :

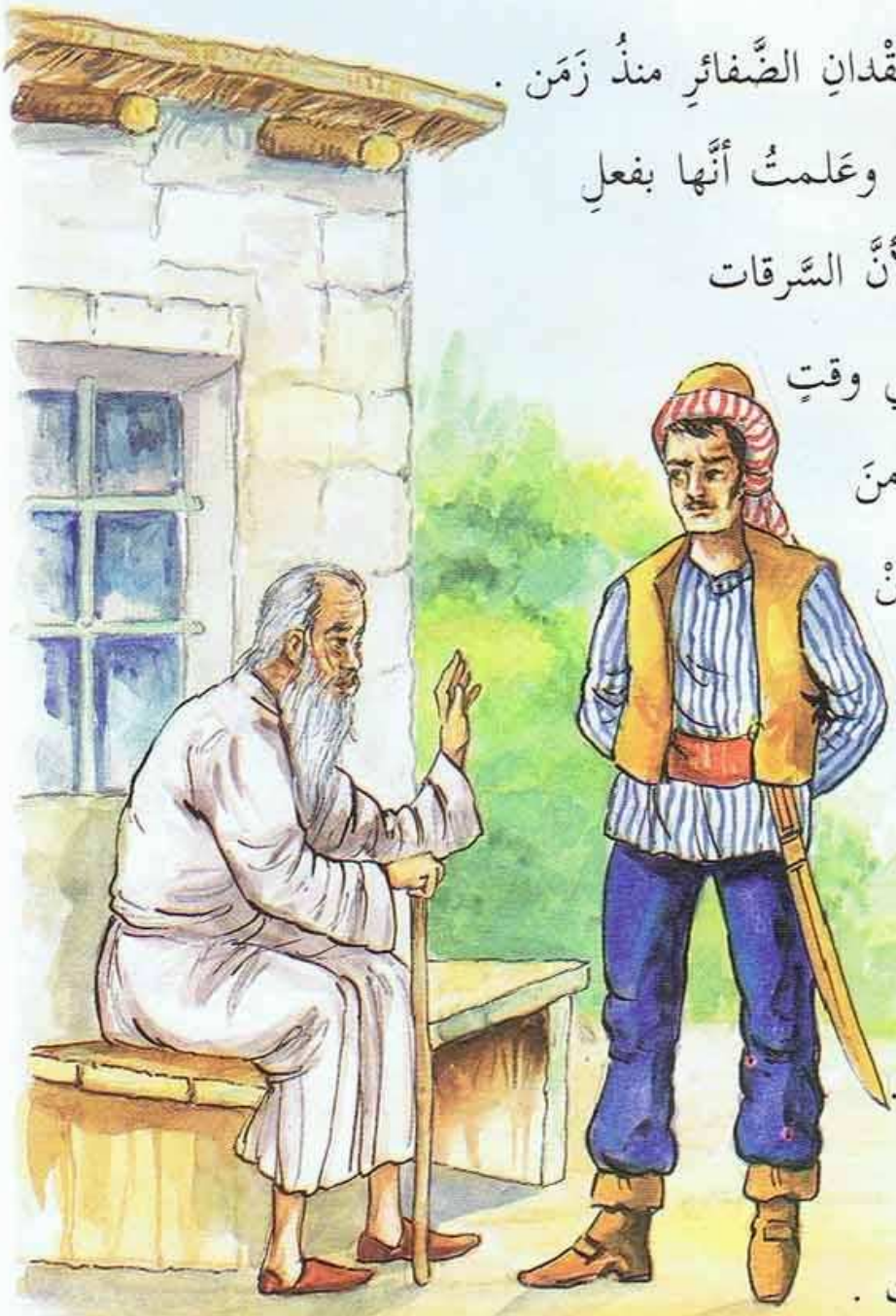

- لقَد عَرفتُ بأمْرِ فُقْدانِ الضَّفائرِ منذُ زَمَن . وفَكَّرْتُ في الأمرِ جَيِّدًا ، وعَلمتُ أنَّها بفعلِ جِنِّيٍّ أَقوى منَ البشَرِ . لأنَّ السَّرقات كثيرةٌ جدًّا ، وتَجْري في وقتٍ سَريعٍ ومُتَقاربٍ في عددٍ منَ البلادِ والقُرى . ولا بُدَّ مِنْ أنَّ ساحِرًا يَقصدُ شَيئًا سِحْريًا مُهمًّا مِن هذهِ الضَّفائرِ . وما دمتَ لا تَعرفُ عدوَّكَ فَلا أَنصَحُك بالمخاطرةِ . ومَن عندَهُ هذهِ القُدرةُ لا بدَّ أَنْ يكونَ أَقوى منْكَ .

فقالَ حَميدٌ :

ـ ولكنْ يجبُ أنْ أَفعلَ شَيئًا ، فإنْ لم يكنْ مِن أَجلِ مريم فمنْ أَجلِ صَبايا القَريةِ حِمايَةً لمنْ لم تُقَصَّ ضَفائرُهُنَّ بعد ، ولو فَقدْتُ بذلكَ حَياتي . فأَرشِدْني أيُّها الزَّاهدُ الطَّيبُ .

أَخرجَ الزاهدُ مِن كيسٍ كانَ الى جانبِهِ سَبعَ وَرقاتٍ مِن شجرةٍ مُباركةٍ وقالَ لَهُ :

ـ إذا اسْتَعَنتَ بالله وأَحرقْتَ واحدةً مِن هذهِ الوَرقاتِ بَطُلَ مَفْعولُ سحرِ الساحرِ الذي تَقصُدُهُ مِقدارَ فَرسخٍ تَقْريبًا . واعْلمْ أنَّه يَتوقَّعُ قُدومَ أحدٍ إليهِ ، لذلكَ فهُوَ مُستعِدٌّ لاستقبالِكَ ومحاربتك . ولكنْ إذا انْتَهتِ الوَرَقاتُ السَّبْعُ ولم تَصِلْ إليهِ فعُدْ ثانِيةً ، إذْ لا سَبيلَ للْوصولِ .

سارَ حَميدٌ ، وهُو لا يَعلمُ أيَّ وجهةٍ يَقصُدُ . ولكنَّهُ تذكَّرَ شَيئًا واحِدًا قالتْهُ لهُ مريم بأَنَّها أحسَّتْ بتوجّهِ سارِقِ الضَّفيرةِ غَرْبًا . فصَمَّمَ على التوجُّهِ غَربًا .

وكانَ كُلَّما حلَّ في مكانٍ سألَ الناسَ إذا كانُوا يعرفونَ ساحِرًا قَريبًا مِن هذهِ الديارِ ، ولم يكُنْ يُخبرهُم عَن هَدفِهِ . وظَلَّ يسيرُ عَلى غَيرِ هُدًى حتَّى صادَفَ شَيخًا جالسًا عَلى صَخرةٍ .

فَدَنا منَ الصخرةِ ، واسْتَأذنَ الشَّيخَ بالصُّعودِ إليهِ . فأَشارَ إليهِ بيدِهِ أنْ يَصعَدَ مِن غَيرِ أنْ يُكلِّمَهُ . فجلسَ ساعةً إلى جانبِه ، والشَّيخُ مُغمضُ العَينينِ . ثمَّ فَتَحهما ، وسألَهُ عَن حاجتِه .

فحكى حميدٌ للشيخِ القصَّةَ كاملةً ، فقالَ لهُ :

ـ طريقُكَ مَحفوفٌ بالمخاطرِ يا وَلدي . فَعَلى طَرفٍ مِن جبالِ هيمالايا كهفٌ وعرُ المَسلكِ تسكُنُ فيهِ عجوزٌ شَمطاءُ منذُ عشراتِ السِّنينَ ، وأَحسَبُ أنَّها تَتَعاطى السِّحرَ . ولكنِ احْذرْ أَتباعَها الثَّلاثةَ ؛ فواحدٌ أحمرُ ، وآخَرُ أَزرقُ ، والثالثُ أَصفرُ . ولا أَظنُّكَ تَنْجو منْهُم حينَ تَدْنو مِن سَفحِ الجبلِ . فَقد سَبقَكَ فِتْيانٌ كثيرونَ ، وَكانَ مَصيرَهُم الموْتُ عندَ أَوَّلِ خُطوةٍ يَخطونَها قربَ الكَهفِ .

شَكرهُ حميدٌ ، وتابَعَ طريقَهُ ، بعدَ أنْ أَيقنَ بأَنَّ هذا الكهْفَ هَدفُهُ . لكنَّهُ تَخوَّفَ كثيرًا . وحينَ مَرَّ بإحْدى القُرى ، اشْتَرى مَجموعةً منَ الحبالِ ، لِيَسْتعينَ بها عَلى صُعودِ الجَبلِ ، وهوَ بارعٌ في لفِّ الحبالِ وصُعودِ الجبالِ .

وحينَ دَنا قَليلًا منَ الجَبلِ اسْتعانَ بالله ، وأَشعلَ ورقَةً منَ الوَرقاتِ التي أَعْطاهُ إيّاها الزَّاهدُ ، وتابَعَ صُعودَهُ . وبالفِعلِ شَمَّتِ العَجوزُ لَيْمونَتَها ، فلم تَصِلْ إليها رائحةُ غُبارٍ قادمٍ . ونَظَرتْ في مِرآتِها ، فرأَتِ الأُمراءَ والأَغنياءَ مازَالوا حائِرينَ في أَمرِهم . فَاطْمأنَّتْ إلى أنَّهم لم يَكْتشِفوا سِرَّها بعْدُ ، فَضَحكتْ بصَوتٍ مُرعِبٍ عالٍ ، وضَحِكَ مَعها أَتباعُها الثَّلاثَةُ .

لكنَّها لمْ تَدرِ أنَّ مِرآتَها لا تُرِيها ما يَجْري في مَنازِلِ الفُقراءِ . ولهَذا لم تَعلمْ مُطْلقًا بدنُوِّ حَميدٍ منَ الجبلِ . كما أنَّ دُخانَ الوَرَقةِ التي أَحْرقَها أخفى اكتِشافَ قُدومِه . وتابَعَ صُعودَهُ ، حتَّى وصَلَ إلى صَخرةٍ كبيرةٍ ، فَاخْتبأَ خَلْفَها ، وجَعلَها مَركزَهُ . وبَيْنما هوَ كذلِكَ سمعَ صوتَ طائرٍ غَريبِ الشكلِ يَقِفُ فوقَهُ عَلى أَعلى الصَّخرةِ ويُردِّدُ :

ـ لا تَخفْ .. لا تَخَفْ .. الضَّفيرةُ مَسحورةٌ .

وبَينما كانَ مُخْتبئًا سَمِعَ صَوتًا عَن بُعدٍ ، فاتَّجهَ نحوَهُ ، فَهالَهُ مَخلوقٌ أَحمرُ اللونِ بِجسمهِ وثيابِهِ ، وقَرْنينِ عَلى طَرفَيْ رَأسِه . فَربطَ الحبلَ بِسُرعةٍ عَلى شَكلِ دائرةٍ ، ومَدَّهُ عَلى الأَرضِ ، وأَشعَلَ ورقَةً ثانِيةً . وحِينَما لمحَ المخلوقُ الأَحمرُ الدُّخانَ دَنا منهُ لِيعرِفَ مَصْدرَهُ ، فَوقَعتْ قدمُهُ داخِلَ دائرةِ الحبلِ ، فَشَدَّها حَميدٌ فَعلِقَتْ . ثمَّ أَخَذ يُصارعُهُ بسَيْفِه ، والطائرُ الغَريبُ يَحُومُ فَوْقَهُما ويَقولُ :

ـ لا تَخفْ .. لا تخفْ .. الضفيرةُ مَسحورةٌ .

وحينَ تمكَّنَ حَميدٌ منْهُ ، وطَعَنهُ في صَدرهِ طَعنَةً قاتِلةً تَحوَّلَ بَغْتَةً إلى دُخانٍ احمرَ الشكلِ . وفي هذهِ الأَثناءِ خَرجَ التابعُ الأَزرَقُ لِيَرى مَصْدرَ الصَّوتِ . فَلمحَ دُخانَ صَديقهِ الأَحمرِ يَتَطايرُ في الفَضاءِ . فعادَ إلى الكَهْفِ بِسُرعةٍ يُخبرُ سَيدتَهُ الساحرةَ .

فشمَّتِ اللَّيمونَةَ ، فلمْ تُحِسَّ برائحةٍ ، فَطارَ الشَّررُ مِن عَيْنَيها وقالتْ :

ـ إنَّها هِيَ .. الضَّفيرَةُ الناقِصَةُ . لقد كنتَ غَبيًا حينَ قَصصْتَ واحدةً وتَرَكْتَ الأُخرى مُعلَّقةً عَلى رأسِ الفَتاةِ .

فَسألَها التابعُ الأَزرقُ :

ـ وماذا يَهُمُّ ذلكَ يا سَيِّدتَنا السَّاحرةَ ؟

فأجابَتْ وهيَ غاضِبةٌ :

ـ هذا يَعْني أنَّ الضفيرةَ الباقيةَ سُحرتْ ، وجَذَبتْ خَطِيبَ الفَتاةِ إلى هُنا .

فَقالَ لَها :

ـ لا تَحْزَني ولا تَغْضَبي ، سَأَخْرجُ إليهِ وأَضْرِبُهُ بسَيفي الأَزرقِ ضَربةً أَقصمُ بِها ظَهرَهُ ، وأَثْأرُ لأَخي الأحمر .

لكنَّ نهايةَ التابعِ الأَزرقِ كانتْ كنهايةِ الأحمرِ تَمامًا . عِندئذٍ أَشْعلَ حَميدٌ ورقَةً أُخرى ، ثمَّ صَعِدَ قَليلًا ، وغيَّرَ مكانَ تَمرْكُزِهِ خَوْفَ أنْ تكْتَشِفَ العجوزُ خِطَّتَهُ . وربَطَ هذهِ المرَّةَ الحبْلَ عَلى ارتفاعِ مِتْرٍ بَيْنَ شَجرتينِ كَبيرتينِ ، كَثِيرَتَي الأَغصانِ . ووقَفَ خَلْفَ الحبلِ ، بحيثُ لا يَراهُ الناظِرُ إليهِ مِنَ الكهْفِ .

وتَوقَّعَ مِنَ التابعِ الأَصفرِ القَوِيِّ إذا هَجم عليهِ مُسرِعًا أن يسقُطَ عَلى الأرضِ بهذا الحبلِ . أمَّا إذا رأَى الحبْلَ فإنَّ نهايتَهُ المَوْتُ المُحتَّمُ . ولا بُدَّ منَ المُخاطرةِ .

خَرجَ الأَصفرُ مُزَمْجِرًا ، وفي يدِهِ سَيْفٌ عَريضٌ أَصفرُ مِن مَعدِنٍ قَوِيٍّ . وحينَ شاهَدَ حَمِيدًا واقفًا أمامَهُ أَسْرعَ نَحْوَهُ . وكادَ يَرَى الحبلَ لَولا ذلكَ الطائرُ العَجيبُ الَّذِي طارَ أمامَ وجهِهِ ، فَشَغلَهُ بالنَّظرِ إليهِ . وَما هِيَ إلا لحظاتٌ حتَّى كانَ التابِعُ الأَصفرُ مَرْميًّا عَلى الأرضِ . فَانْقضَّ عليهِ حَميدٌ وصاحَ : «يا ربِّ» وضَربَهُ ضَربَةً دَوَّى لها دويٌّ كبير في الوادِي .

عِندَئذٍ سَمِعَ صُراخًا وَوَلْولَةً مُرعِبَةً منَ الكهْفِ ، اهْتَزَّ لَها الجَبلُ ، فَتساقَطَتْ صَخَراتُهُ ، وتَهاوَتْ عَلى الساحِرةِ العَجوزِ فَقَتلتْها . ورَأَى حَميدٌ الطائرَ العَجيبَ يَحُومُ حَوْلَ بَقايا الكهْفِ ، ويَصرَخُ :

ـ الحمدُ لله ... الحمدُ لله

ثمَّ طارَ بَعيدًا حتَّى غابَ عَنِ الأَعيُنِ .

أمَّا حميدٌ ، فَجلسَ عَلى الأَرضِ ساعَةً يَرتاحُ مِنَ التَّعبِ الَّذي لاقاهُ . وبعدَ ذلكَ عادَ أدراجَهُ إلى قَريتِهِ . وكانَ كُلَّما دخَلَ بلدةً أَو قَريَةً بشَّرَ أَهْلَها بموتِ الساحِرةِ العَجوزِ الَّتي كانَتْ تأمُرُ أَتباعَها بِسَرقةِ ضفائرِ بَناتِهم .

سَمعَ الوالي بِبُطولةِ حَميدٍ وذكائهِ ، فَاسْتَدعاهُ إلى قَصرهِ ، وطَلبَ منهُ أنْ يَحكِيَ قِصَّةَ الضَّفائرِ ، والمخاطِرَ الَّتي اعْتَرضَتْهُ . فحكاها له ، فسُرَّ الوالي كَثِيرًا ، وأَنْعَم عليهِ بالمالِ الكثيرِ ، وأَمَرَ أَنْ يَتِمَّ حفلُ زفافِهِ عَلى خَطيبتهِ في حَديقةِ قَصرِهِ ، لِيُشاركَهُما أَفراحَهُما وأَفراحَ الشَّعبِ كلّه . ثُمَّ أَهْداهُما قَصْرًا يَعيشانِ فيهِ . ولمْ تَنْسَ مريم أَبَوَيْها ، فَاسْتَدْعتْهُما إلى القصرِ ، وعاشُوا جَميعًا حَياةً سَعيدةً .

١. ماذا كان لدى الساحرة يساعدها لمعرفة كل شيء ؟

.....

.....

٢. صف أتباعها الثلاثة .

.....

.....

.....

.....

٣. ما كان سبب حزن السّاحرة ؟

.....

.....

.....

.....

٤. هل استطاعت أن تؤجّل موتها ؟

.....

.....

.....

٥. مَن هو حميد وماذا استطاع أن يفعل ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

١. ما هو السحر ؟ هل تؤمن به ؟ لماذا ؟

.....

.....

.....

.....

.....

٢. هل تستمتع بأخبار السِّحْرِ والسَّحَرَة ، لماذا ؟

.....

.....

.....

.....

.....

٣. ما تقدّر سبب بروز أخبار السّحر ؟

.....

.....

.....

.....

.....

٤. هل ترى أنّ قوّة السَّحرة والسحر ناقصة ؟ أين بدا ذلك في هذه الحكاية؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

١. جد أكثر من عشرين كلمة في هذه الشبكة .

ك	ت	ح	ا	ر
م	ي	ر	ض	د
ا	ن	ر	ه	ض
ا	ن	ي	ر	ك
ن	ر	ي	ا	م

٢. جد أضداد الألفاظ الآتية :

كوخ ـ كثير ـ جبال ـ مغتبطة ـ نهاية ـ طَمْأَنَ.

.....

.....

٣. ورد في الأسطورة كلام على الصين : ماذا تعرف عن هذا البلد : الموقع ـ الطبيعة ـ العادات ....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

حكايات شهرزاد

ملك الغابة

صبايا البرتقال

الثعلب والأمير المسحور

البنات السبع

هدية الثعبان

القطرة السحرية

البيضة الذهبية

الوعاء المسحور

دار المكتبة الأهلية